

## صور من الاتجاهات الوجدانية في شعر عيسى ألبى بكر الإلوري النيجيري

د. موسى عبد السلام مصطفى أيبكن  
المحاضر بقسم الدراسات العربية والإسلامية  
كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة ولاية كوغبي، أينبا، نيجيريا

### **ABSTRACT**

Arabic as a language has never been a goal in itself in Nigeria in the past but a means to an end. The goal has always been the proper understanding of the Islamic religion. This explains why it took a considerable time for Nigerians to excel in the art of Arabic poetry. When they eventually did, their productions did not only reflect all Arabic poetical themes as known among the Arabs but also reflected their own environments.

This study is a critical presentation and discourse on selected works of Isa Alabi Abubakar whose poems are widely read not only in Nigeria but also in the Arab world. The need to study his poems arises from the unique intellectual position he occupies among contemporary Nigerian poets who use Arabic Language as a medium. A Literary method has been adopted in the study in order to achieve the much

desired objectives of uncovering the good qualities in the poet's works. A biographic presentation of the poet is also given emphasizing scholarly and religious influences on the poet.

### مقدمة البحث :

ليس من السهل في نيجيريا أن نفرق بين العلماء والأدباء، فالعلماء هم الأدباء، وهم قادة الفكر، وهم الذين يقومون بتدريس الدين، واللغة، والأدب. وليس هناك فرق عندهم بين هذا الفن وذاك ، إذ أن الفنون كلها تهدف إلى غاية واحدة، وهي الدين الإسلامي، فهدفهم الرئيس في التعليم كله هو أن يتفهموا في الدين، لأنهم كانوا يريدون أن يحيوا حياة دينية ، فتعليم اللغة العربية ليس غاية في ذاته، وإنما هو وسيلة لفهم الدين.(1)

ولقد عكف العلماء على تعلم اللغة العربية، وتعلموها لغة، وأدباء، وألّفوا بها كتباً كثيرة في شتى الفنون،(2) وكان من بين العلماء نفر مالوا بطبيعتهم إلى الأدب، فدرسوا ما وصلهم من كتب الأدب، دراسة وافية، وجعلوا يتذوقونه، ويستلذونه ، ويحاولون محاكاته، ولكنهم، في كل ذلك، لم يكونوا يدرسون الأدب بوصفه مستقلاً بنفسه، بل على أنه جزء من تلك الثقافة الدينية، التي يهدفون إليها، وذلك لأن لغتهم لم تكن العربية، ولكن تمسكهم بالدين، كان يدفعهم إلى تعلمها، وإتقانها، ثم جعلهم الشعور بالإتقان يلتمسون الانتماء إليها عن طريق التأليف الأدبي، شعراً ونثراً .

فالعلم والأدب إذن شيئان لا ينفصلان عندهم ، فالأدباء كلهم علماء، ولقد أنتج العلماء والأدباء كثيراً من فنون شتى، فألّفوا كتباً ورسائل، عالجوا فيها كثيراً من المشكلات الدينية، والاجتماعية، والسياسية، والتاريخية، وكان لبعض العلماء ميول أدبية، ساعدتهم على التأليف في مجال الشعر.

### الشعر العربي النيجيري بين العلماء والأدباء:

كان أدباء نيجيريا ، يقرضون أشعارهم في الأغراض التقليدية المشهورة عند العرب القدماء ، وذلك لشدة تأثرهم بشعراء الجاهليين والإسلاميين وأمثالهما ، ولما كان الباعث لأهل نيجيريا إلى تعلم العربية هو الدين الإسلامي ، كان لابد أن ينبع أدبهم من منابع الدين ، وأن يدور حول أغراض يبررها الدين.

### التعريف بالشاعر:

ولد الدكتور عيسى ألي بمدينة كاماسي الغانية لأبوين إوريين عام 1953م ، تعلم القرآن الكريم ، ومبادئ الدراسات العربية الإسلامية على أيدي مشايخ إلورن ، وحصل على الشهادتين الإعدادية والتوجيهية بمركز التعليم العربي الإسلامي ، أغغى ، نيجيريا . حصل على الليسانس والدكتوراه في اللغة العربية من جامعة إلورن ، والدبلوم العالي في تدريس اللغة العربية لغير الناطقين بها من جامعة الملك سعود بالرياض. وبين 1984- 1994 عمل محاضراً بقسم اللغة العربية بجامعة عثمان بن فودي ، صكتو، وفي عام 1994، انتقل إلى جامعة إلورن ، حيث يعمل حالياً مدرساً للغة العربية (3).

يعد الدكتور عيسى ألي فحلاً من فحول الشعر العربي في نيجيريا، وفارساً من فرسانه المتحكمين فيه ، قال الشعر مذ كان يافعاً، وظل مواظباً على دراسته وتجويده وتصقيله حتى قويت شوكته ، وتفجرت ينابيعه، فامتاز شعره بحسن الديباجة، وعلو البلاغة، وقوة المخيلة، والمقدرة الإبداعية النادرة (4)

وقد نال بالشعر جوائز كثيرة ، أعلاها الجائزة الأولى في المسابقة الشعرية التي نظمتها جامعة الملك سعود بالرياض ضمن فعاليات أسبوع التوعية حول مضار التدخين عام 1991م، ونشرت له قصائد مجلات أدبية في نيجيريا وبلاد العرب . وقد نال من دارسي اللغة العربية ومدرسيها وعند

محي الشعر العربي - بوجه أخص - مكانة مرموقة سواء في جامعات نيجيريا ومعاهد عليا في البلاد.

### عوامل تكوين شاعريته:

هناك عوامل كثيرة ولدت شاعرية عيسى وأهمها عاملان جوهريان. أولاً: البيئة المدرسية: فقد تجسد في ثلاث بيئات كان لها أثر قوي في الشاعر على مايلي، بيئة مدرسته بالمركز، أغبيغى، وبيئة جامعة بن فودي بصكتو . وبيئة وطنه إلورن (5) وقد قضى الشاعر بالمركز مايقرب من عقد من الزمن (1965-1971م) ، والمركز بيئة مهيئة لتناسف الشعراء ، عامرة بالشباب النابغين النشيطين المتأثرين بتوجيه الإلورى، وأسلوبه المتميز في إعداد الشعراء.

ثم ساقه القدر المحتوم إلى جامعة عثمان بن فودي بصكتو حيث عمل العشر سنين محاضراً بشعبة الدراسات العربية ، احتك خلالها بأجلة الأدباء أرباب البيان الذين نقدوا شعره وقوموه ، ثم عاد وضرب أطنابه على موطنه إلورن ، عام 1994م والمدينة مليئة بترث الآباء والأجداد بناة الحضارة الإسلامية ، وبالشباب المتحمسين للعربية ، المتفانين في حماية تراثها وثقافتها فوجد من هنا وهناك دوافع توهج منها شاعريته ، وأسعفته على الإنتاج المستمر ، والتركيز في الاتجاه.

ثانياً: العامل الشخصي. وأما العامل الشخصي فيتمثل في الموهبة الفذة ، والملكة الشعرية التي منح الله به الشاعر إياها ، إضافة إلى عكوفه على دواوين الشعراء القدامى والمحدثين، وحفظه لكثير من أشعارهم (6) ويتمثل العامل أيضاً في سعة ثقافته التي اكتسبها عن طريق الاطلاع المكثف على الثقافات العالمية المتنوعة . فهذه العوامل هي التي ذكت جذوة الشاعر، وأشعلت جمرته ، وجعلت منه فحلا عملاقا يتربع على أريكة الشعر العربي لافي نيجيريا فحسب بل في غرب إفريقيا.

### ديوان الشاعر:

يعتبر الشعر العربي صناعة يمارسها عيسى ألي أبوبكر حيناً بعد آخر، والشعر طبعاً موهبة إلهية يهبها الله من يشاء من عباده ، عربياً كان أم عجمياً ، وقد ظل

الشاعر يقرض الأشعار حول حوادث تاريخية سياسية كانت أم ثقافية بل ما من حادثة هامة تحدث في نيجيريا وفي العالم أجمع إلا وله قصيدة تستعيد ذكراها نحوها ، حباً لها أم بغضاً عليها . وكان من الصعب للشاعر أن يحصي بالضبط ما ولدته قريحته منذ أن نبغ في الشعر لغزارته ، وتعدد مناحيه ، وطول عهده به ، لأن معظم قصائده قد ضيعته يد الزمان لعدم تقييده في سجل خاص. وقد جمع الشاعر أشتات هذه القصائد في السنوات الأخيرة ، وبالتحديد من 2000م تشجيعاً له من قبل زملائه وطلابه وأساتذته بعد عقود مرت على اضمحلالها وتشتتها.

### شعر الأخلاقيات :

وقد تطرق الشاعر إلى فنون الشعر الموجودة عند العرب قديماً وحديثاً. وله من شعر الأخلاقيات عدد لا يستهان به إلا أن كثيراً منه قد ضيعته يد الزمان لعدم تقييده وحفظه في كتاب خاص (7)، ولما أدرك خطورة تشتته وضمحلاله في الآونة الأخيرة شجعه الناس على جمع ملتقطات من إنتاجاته في ديوانيه الذين أسماهما بالرياض والسباعيات .

وقد تناول الناظم موضوعات تمس الانسانية والأخلاقية في بنات أفكاره، بل أفرد له باباً خاصاً سماه (( الأخلاقيات )) وكل ما فيه يدعو إلى التحلي بالأخلاق الفاضلة، ونبذ الخلال السافلة لمنفعة الشعوب عامة، والشعب النيجيري خاصة. يرتدي الشاعر في هذا الباب - الأخلاقيات - لباس واعظ رادع حيناً، وأحياناً أخرى يبرز في زي راج عفو ربه لكثرة زلاته وهفواته ، ونذكر منها على وجه التمثيل لا الحصر.

### المبحث الأول : مختارات من شعر الأخلاقيات

#### القصيدة الأولى : آفة العصر

سبق أن قلنا إن للشاعر قصائد عدة تتركز على القيم الأخلاقية المنهارة من الشبان الناشئين . وأدرك أن في نيجيريا ظواهر خبيثة بدأت تغطي على عقول الشباب من جراء تنصل الآباء والمربين من حقوقهم وواجباتهم نحو

أولادهم. ومن الظواهر المبكية أن نرى شباباً في هذا الجيل هم في العقد الثاني من أعمارهم يتعاطون السيجارة والحشيش وغيرها من المنهيات. وعلى هذا الأساس نظم الشاعر هذه الأبيات يدين فيها التدخين ومتعاطيه في عشرين بيتاً من بحر الخفيف، يقول:

آفة العصر فتنة المسكين (8)	أيها الشعر ثر على التدخين
م وقد جزّه بداء دفين	جعل الصدر مرتعاً لجرائيه
وتراه يسعى له كل حين	متعاطيه كان رهن هواه
ل ليلقى بنفسه في فتون؟	كيف يحلو لعاقل يبذل الما
كيف تلتاث بالدخان المبين؟	وسماء القلوب أنقى صفاء
ب كرعد بلون ماء هتون	وسعال دويه يحدث الرء
ن كأن الجروح تحت الجفون	ودموع مريرة تملأ العي
فاس تنساب عنوة بالأنين	وبلاء يظل يختنق الأز
لاهثا فيه مسحة المفتون	حبه كلما تمشى تـراه
عد طودا بقلبه الموهون	تتعالى أنفاسه كالذي يص
بون عيب يدنى لباب المنون	إن تلويث صفحة القلب بالكر
منعت من ظهور ذاك الجبين	زره في بيته تجرد أن سحبا
هي في عزلتي شفاء شحوني	قال سيجارتي تنشط يومي
فلهذا يهفو إليها حنيني	هي أشهى من الأمانى العذاب
كلما اشتد لذعها كالأتون	وبها أنفث الكآبة عني
ء فجسمى يزرى بليث العرين	كذب الطب حين حملها الدا
عن ظنون تهوى أمام يقيني	ليس في كفها المنايا فكفوا
غ (9) مضر فهل له من معين؟	إن إصراره العنيد على التـب
مى فقد كان مثل شاة ققين (10)	فارحموا حاله الكئيبة يا قو
ليقيننا مضرة التدخين	وجزى الله كل من قام خيرا

عدّدت القصيدة الأمراض التي تسببها سيجارة في الجسم. وقد أكد العلماء والأطباء والمفكرون أن التدخين وباء للإنسانية، وإسراف يجب تفاديه، وعلى الرغم من ذلك يروجه الناس باشتراكه وإنتاجه. ومن جملة أضراره في الجسم أنه يعرض الجسم إلى أنواع من المرض كالجراثيم، والسعال، والفقر، والموت المفاجئ. وقد فند الشاعر الترهات والأقاويل التي يزعم متعاطي التدخين بأنه ينشط الجسم والروح ويكشف الكرب والأحزان. فالحل الوحيد من ويلات الإقلاع منه، والتجنب عنه. بالخلاصة، اتجهت القصيدة إلى ثلاثة اتجاهات، فالأول يركز على الأدوية المرفقة بالتدخين من مطلع القصيدة إلى الثاني عشر، والثاني تكذيب آراء يعتمد عليها المدخنون في تناوله من البيت الثالث عشر إلى السادس عشر. وأما الاتجاه الثالث فإنه إنذار لهم، ونداء إلى الانقطاع بإنتاجه من السابع عشر إلى آخر القصيدة.

### القصيدة الثانية: الاعتماد على النفس

هذه القصيدة قرضها الشاعر في الحث على الجد والمثابرة لطلب المعالي، وتنبط الاتكال على الآباء والأجداد لأي سبب من الأسباب. وهي من أجود القصائد التي قالها الشاعر في استنهاض هم الناشئين، والاستعداد لتصدي تحديات العصر.

### نص القصيدة:

إن هذي الحياة محض جهاد	وكفاح وجلبة واجتهاد (11)
لا يرى من يفوز فيها سوى غا	زله من مهندات الشداد
فاعتمد طالب المعالي على النف	س ولا تعتمد على الأجداد
إن ذكر الحدود غاية من لا	يعرف السر في علا الأجداد
فلتكن عاملا بغير معين	وابتعد عن تواكل الاولاد
فإذا ما بلغت غايتك القص	وى فلا منة من الأضداد
واعتماد الفتى على نفسه أص	ل نجاح، أساس كل سداد

من يعل دائما على غيره يه  
لا عليك الجناح فى طلب الآ  
فلتكن من ذوى العقول إذا كذ  
فبهذا تضيف عقلا إلى عق  
فتوسط يا صاح فيه لكى لا  
ورقى البلاد مرتبط - لا  
وإذا كنت معدما فتعقل  
أفلا تقتدى ببعض رجال  
فتقص الأنظار فيهم مليا  
قنصوا هذه الحياة كما تأ  
أعقل الناس من رأى يومه أح  
من يعيش وهو لم يكن مستزيدا  
باركت هذه الحياة طويلا  
ودعت - وهى تستجاب إذا ما

ق حقيرا أمام كل العباد  
راء والبينات والإرشاد  
ت على صدقهم متين اعتقاد  
ملك حتى تعد فى الأسياد  
تفقد الرأى أيما إفقاد  
شك فيما أقول - فى الأفراد  
فالغنى ليس مصدر الإسعاد  
وصلوا هم كذروة الأطواد  
ترهم قد سموا بلا أزواد  
خذ صيدا أحبولة الصياد  
سن من أمسه إلى آباد  
بعقول يكن كمثل الجماد  
فى الذى يطلب العلا بازدياد  
هى تدعو - على عدو الجهاد

يحث الشاعر على المثابرة لخطوب الدنيا إذا نزلت أم تكرر، لأن الدنيا ،  
طبعاً موطن جهاد وكفاح. يرى فيها الناس ما يسره وما يحزنه، ومن اجتهد فى يومه  
لغده، فإنه يستريح فى شيخوخته، وأما تكاسل عن واجباته فى مقتبل الشباب اتكالاً  
على الآباء والأجداد فإنه يندم فى المستقبل لا محالة . فالاعتماد على النفس مبدأ  
النجاح، وأصل السعادة، يتطلع إليه من له عقل سليم، وذوق وجيه، وبه يزدهر  
الوطن، ويكتشف بنوه مخترعات حديثة سواء من أفراد أو منظمات أو مؤسسات ، أو  
حكومات.

والأحسن للعاقل اللبيب أن يقتدى بالرجال الذين تقدموه جهداً وعلمًا ليعدّ  
من الأعمال الشائخات الذين وصلوا إلى القمة العليا بجهودهم الخاص . والعاقل إنما

يبقى كالجملادات والبهائم إذ كانت الحياة الطيبة للذين يسعون وراء المجد، مستعدين لمكابدة ضروب الحياة، حلوها ومرها . فالقصيدة بأسرها ترغّب الفتى النشئ في أن يكون عصامياً الذي شرف بنفسه لا بأبائه أو أجداده، وقد قيل في المثل العربي: "كن عصامياً لا عظامياً" أي أشرف بنفسك كعصام حاجب النعمان لا بالأبء الذين صاروا عظاماً.

### القصيدة الثالثة: اكظموا الغيظ

وقد نظم الشاعر قصائد تهدف إلى الأخلاق الفاضلة بين الناس، ونبذ الصفات الرذيلة التي من شأنها هدم الأسرة من جانب، والمجتمع المنظم من جانب آخر وهذه القصيدة التي اخترناها إنما تركز على علامات يتميز بها الصابر من الغاضب، والمحسن من المسيء، والعاقل من الغيبي، على سبيل واعظ زاجر مرشد. والقصيدة برمتها تتألف من ثلاثة عشر بيتاً .

### نص القصيدة:

اكظموا الغيظ واسكنوا لا تتوروا	إنما الغيظ إثمه لكبير(12)
إنما الإنتقام فسى كل ذنب	خصلة وائل إليها الصغير
فادفعوا السيئات بالحسنات	يرفع الله ذكركم والدهور
أشجع الناس في الزمان حلیم	هو في كل ما يرى مسرور
هو من لا يسلم النفس للغي	ظ إذا ما جاءه أمر مثير
أصبحوا الماء إن بدا الناس نارا	إنما الماء للسعير قبور
لا تظنوا الإله يغفل عن شيء	ئ وربي لفعلكم لخبير
نوه الله بالحليم كثيراً	هو كان عبدا صبورا شكور
أول السخت هفوة وجنون	آخر السخت زلة وثبور
اغرسوا الحلم تجتنوا السلم حقا	هكذا السخت آفة وشور
فكفى حانقا التلهب كالنا	ر إذا أوقدت تراه يثور
لم أجشمكم اصطبارا على الضي	م إلى أن ينالكم تهوير

ليس أن تتركوا حياتكم في خطر أو يشوبها تكدير  
ينصح الشاعر بكظم الغيظ عند الغضب، والنفو عن المذنب واللجوء إلى  
الهدوء والصبر من كل ما يثير الغضب ويهيجه. إذ كانت طبيعة الغضب أن تفضي إلى  
الإثم والعدوان. وقد جبل الناس على أخذ الثار خصوصاً من الصغار. والعقل هو  
الذي يحسن إلى من أساء إليه لتعلو منزلته أمام الخالق، وليس الشجاع الذي يغلب  
الناس في المصارعة والمخاصمة إنما الشجاع هو الذي يمتلك نفسه عند الغضب.  
واللبيب - بحق - هو الذي يتلاقى مستجدات الدهر بسعة صدر حزناً كان  
أم فرحاً، أماً أم أملاً، فالصبر دواء من كل داء، ووقاية من كل مرض. ولا يظن المرء أن  
الله غافل عنه لأنه خبير بأعماله وعليم بها. وقد مدح الله الصابرين في القرآن الكريم  
بأوصاف متعددة، وكفى الله بعباده شكوراً.  
والسخط يجري إلى الذنوب والجنون وعاقبته ندامة وخسارة، ومن تحلى بالحلم  
فإنه يحظى بالسلام، ومن اختار الغضب شيمة له تلحقه آفات وشور. ومهما يكن  
من الأمر، فينبغي أن يكون الصبر في ظل طاعة الله ورسوله، وليس على ما يؤذيه في  
دنياه، فيؤدي إلى الهلاك، وتكدير المعيشة.

## المبحث الثاني : مختارات من شعر الشكاوى والعتاب

للشاعر قصائد عديدة يشكو بها معانات كابدها في حياته بالإضافة إلى  
مشاعر الآخرين من آلام وآمال. وأحياناً تطول القصيدة في هذا الموضوع، وتقتصر  
أحياناً أخرى حسب انفعال الشاعر بالحادث لوعة وشدة. وكلها شاهدة على تقلبات  
الحياة مرأً وحلوأً. وقد اخترت ثلاث قصائد من هذا الغرض أولها: يشكو الشاعر  
جمود العقل وقلة الإنتاج منه. ثانيها: شعور الشعب السلي بالشعر العربي وموقف  
الشاعر منه. ثالثها: عتاب للعرب تساهلاً بالوحدة القومية والشعبوية .

### نص القصيدة :

ماذا دهاني إذا استجمعت أفكاري  
لقول شعر فلا تنقاد أشعاري ؟

فلا أزال أنـاغـيها وأطربها  
هل ذاك ضعف دماغ يا طيب أحب  
أعوم في بحر أفكار بلا شطط  
يا شعر كن لي جارا ليس يظلمني  
من ذا الذي يعرف المأوى لأحمدنا  
أقول من أين ياتيكَ القريض بلا  
أقوم في كل ليل ممسكا قلمي  
أين السبيل إلى تثقيف أنفسنا  
إن القريحة أمست وهي جامدة  
إنني أود ذبوع الصيت لي أبدا  
ما أحسن الشعر يا مولاي إن له  
له مياه مياه النيل تحسدها  
قم حي أحمد شوقي<sup>(10)</sup> إنه بطل  
وقل جزاك الإله الواحد الصمد  
مهما يكن لي ضعف في القريض فلا  
لكنها عبثا تبقى بإصرار  
يحب ذلك إضعافي وإضراري؟  
فلا أرى دررا في بحر أفكاري  
وأنت تعرف حق الجار للجار  
حتى أثبت إليه كل أسراري؟  
توقف منه من بخل وإضمار؟  
ولا أنام إلى أعقاب أسحار  
فنون شعر فلا تبخل بإخباري؟  
يا رب تسمع أقوالى وأعداري  
حتى أفوز بذكر جد سيار  
طيبا يفوح يحاكي ردن عطار  
مصبتها حكمة لا بطن أحجار  
قيام ودّ وتقدير وإكبار  
أجرا لكل مقالات وأشعار  
يكون لي الضعف في تمجيد آثار

نظر الشاعر إلى جمود العقل من مصيبة طرأت عليه لعدم إنتاجه الشعر على  
رغم كراهيته لهذا العقم، وكلما استنتج يستعصيه القلم فأشكّل عليه الأمر هل كان  
سببه ناجماً من الكسل أم بلاء من الله . وقد كان يغوص في بحر الأفكار ويجول ثم  
يعود صفر اليدين . فقرر أن العلاج الوحيد لهذا الداء هو أن يتوسل بالنبي الكريم لعل  
الله يرجع إليه موهبته فيواز على قمع مصائبه . وقد شاء أن يطير صيته في آفاق  
البلاد لأن طبيعة الشعر أن ترفع صاحبه إلى آفاق السماء كما طار بأحمد شوقي إلى  
بلاد العرب وغير بلاد العرب، ونال به حرمة وتقديراً لا يتصوران في مجال الأدب العربي  
خصوصاً في الشعر .

والحق أن الشعر يتمرد على صاحبه أحياناً حيث يعجز الشاعر المفلق من أن يأتي بالقصيدة في وقت يريد لها، وإن كان في كثير من الأوقات تلين له قناته فتدفع إلى فكره، ويستولى على قلبه، ولا يرتاح باله إلا إذا لبَّاه ثم اختتم قصيدته على أنه لا يزال مهما كان الحال يمجّد آثار سابقيه من علماء وشعراء تبركاً بهم، وتخليداً لآثارهم .

### القصيدة الثانية : شاعر العجم

ييدي الشاعر قلقه وموقفه بنزعات سلبية وجهت إليه أمته لقوله الشعر حيث رغبوا عن كرامة الشعر وأربابه إلى تمجيد المطربين المجانين بدلاً. وتأسف على ذلك وطفق ينادي نداء غريق مستغيث لعله يجد ناصراً ينصره أو منقذاً ينقذه .  
وللشاعر عدة قصائد لهذا الاتجاه يعرب فيها اضطرابه واحتلاجه لهذه الظاهرة. والقصيدة التي اخترناها - من بين مثيلاتها - تصور لنا أدق شعور، وأمضى سنان مس الشاعر بل تجربة مرت بحياته، وتقع في تسعة وعشرين بيتاً على قافية الميم.

### نص القصيدة:

شعر يقال لدى العجم	عسل يقدم للصنم
كاللحن يعزف للصفاء	ة فلا يطيب لها النغم
فتظل ثابتة الجوا	نب لا حبور ولا ألم
ويل لشاعر أمة	في أذنها داء الصمم
لا تستفيق إذا دعا	ها وهي تغرق في الظلم
فتراه يرثى حالها	ويذوق حنظلة الندم
ويذوب مكلوم الفؤا	د يعيش مهضوم الذمم
ويخاف حين يسوقه	سحر البيان إلى القلم
إنني أبث نوادر ال	فصحى وآت بالحكم
لكن شعبي لا يقا	بلني بموفور الكرم
ويظن ذلك نعمة	تهدى إلى أهل الرمم

والعقريّة غاية يسعى لها باغي القمم  
 واصل مسيرك إنمّا تسعى لتنتفع الأمم  
 رتل أناشيد الحياّة برغم قلة من فهم  
 يأتي غدا من هممه نشر الجميل بلا سأم  
 فيرى الجميع بأن شعري فيه آيات الكلم  
 فيخمر للأذقان قوّم المونى بالشمم  
 روح يؤيدني فأمر شي ما أريد بلا ألم  
 فيراه من لم يقتنع فيقول هذا متهم  
 ماء زلال مر في فم من يعادي أو نقم  
 إن الذى قدر الجميل بل بلا مرء من علم  
 صرح يشيد من قوارير فيهدمه الهدم  
 فن رفيع ليس يفهمه سوى فذ سلم  
 قلبى لمن لم يرع لى حقا وفضلا مضطرم  
 إنى أجامله مجاملة الصحيح لمن سقم  
 وأكن فى صدرى له بغضا أحر من الضرم  
 شعري كعرضي إنه من عابه لا يحترم  
 يا قوم ما جدوى القريرض يقال في دنيا العجم؟  
 هو كالحديد تدقه فيصك آذان القرم

يسوق فيها الشاعر استيائه بالمجتمع الذي يعيش فيه، حيث يعرض الشعراء أشعاراً ممتازة، موشحة بالنوادر والحكم ويعدونّها من سقط المتاع . وقد شبه الشاعر الشعر الجميل لدى قومه بالعسل الذى يوضع على وثن لا يشعر بلذته ولا يحس بجلاوته، وعند الآخرين كالأصوات التي تنبؤ منه الأسماع. وإذا ظل الأمر على هذه

الصورة الكئيبة فويل لشاعر ينتج الأشعار لأمة لا تفهم ما يقول عنها شعراؤها ومفكروها.

والمنتج بالطبع لا يسره الموقف إنما يتألم ويتحسر بل يتردد من المزيد في الإنتاج، وإذا أتى بالنوادر والحكم في الشعر فهم لا يعرفون لهما من قيم فنية. والشعب من جانبه، لا يحترم الشاعر حتى ليتخيل أن انتاجاته بمنزلة الهدايا التي تهدى إلى الأموات، وعلى الرغم من ذلك فلا يثبطه ذلك من الإنتاج، ولا يحفل بما قد يقال فيه مدحا أو قدحا إنما يستزيد عليه لتنتفع به أمم قادمة.

وإذا كان عدد الذين يتفاهمونه اليوم قليلاً، وقد يأتي غداً بأناس يهتمون به إهتماماً بالغاً. وقد علم بعض الناس أن في شعره حكماً تستلذ منها القلوب، وتشتهيها الأنفس، فيخر له بعضهم إكراماً، وبعضهم يؤثرون الشتم والنيل منه من الثناء عليه. والبعض الآخر يتهموه بالانتحال وإن كان ذلك لا ينال منه شيئاً، ولا تخر قواه الروحية، فالماء الزلال يجده سقيم مراراً، والعارف بخصائص الشعر إنما يحترمه ويعترف بنبوغه فيه، وإسهامه الخطير في مضماره.

### القصيدة الثالثة : إلى العرب

أقر الشاعر بعقلية جبارة امتن الله بها على العرب، وزينغ قلوب الناس إليهم حباً ومودة، وللأسف! أن العرب يموتون زرافات ووحداً من جراء الانشقاق والمعارك التي يشنها بعضهم على بعض من جانب، والتي تدور رحاها بينهم وبين أميركا من جانب آخر.

وللشاعر أكثر من عشر قصائد ممتازة لهذا الغرض، يعرب فيها مضضه وتعاطفه بالعرب وضحايا الحروب. وهذه القصيدة التي اخترناها يعتب فيها مهيجي الحروب، ويعنف القادة الغلاة بلهجة لا غلو فيها وهي تصور مأساة العرب خير تصوير من ربع قرن مضى في ثلاثين بيتاً وقد نشرتها مجلة الوعي الإسلامي الكويتية عام ١٩٨٢م (13)، فيقول:

يا أمة انحدرت من العدنان  
أرض تلالاً فوقها نور الهدى  
ما ضرها شيئاً جدابة أرضها  
إنا غبطنا فضلها وعلوها  
إنا ملأنا قلبنا بولائها  
المسلمون جميعهم أتباعها  
إنا نغنى دائماً لحن الهوى  
لولاك ما خرج الأنام وما نجوا  
ماذا رعاك الله أكرم أمة  
إنى نظرت إلى الشعوب فلم أجد  
إن اللغات تعددت وتباينت  
فإذا نظرت إلى قواعده تجد  
الوحى أعلن فضله هذا كفى  
إنى ليحزنى كثيراً حالها  
وغدا زيم القوم يقسم أرضها  
ماذا وراء الاجتماعات التى  
ماذا وراء الإتحاديات من  
والله قد أضحكتم أعداءكم  
إنا سئمنا ما يقول مذيعكم  
قتلوا صباح اليوم ألف مواطن  
قذف العدو من السماء قنابلاً  
يا أيها العربي قل لى صادقاً  
إنى لآمل أن أراك مكلاً  
أو أن أراك وقد لبست مفوفاً

عاشت على الصحراء خير مكان (14)  
يا مرحباً بالنور والإذعان  
فيها ترعرع سيد الأكوان  
سبحان من يعطى بلا حساب  
ما ضرنا لوم من الشنثان  
قودي زمام القوم بالقرآن  
أصغى إلى العشاق بالوجدان  
من فتنة البهتان والخسران  
صنعت يدك فكان من رضوان  
شعبا يضاهى أمة القحطان  
ولسان أهل الشرق خير لسان  
زحرت بدون إرابة ببيان  
عزاف بشرى أمة الإيمان  
عاشت طويلاً فى لظى العدوان  
من دون ما حق من الأزمان  
جئتم إليها من جميع مكان؟  
إثر الوئام يرى لدى الإخوان  
فالشر كل الشر ضحك الجاني  
الحرب فى قدس وفى لبنان  
قتلوا نساء الحي بالنيران  
ذاقت سموم الموت بنت فلان  
هل قد خلقت لهذه الأحران  
يوما بكل تنعم وأمان  
ثوب العلاء وخلعت ثوب هوان

يا أيها العرب الكرام تضافروا  
لا تتركوا إبليس يفسد جمعكم  
إن لاحظ الأعداء منكم وحدة  
إنني أودكم وأبدي ودكم  
ردوا إلى الأيام سابق عزكم  
إن الحقيقة وهي تقبل أينما  
وتعاونوا حتما على الإحسان  
وتعوذوا بالله من شيطان  
ذهبوا وقد ذاقوا لظى الحرمان  
في الشعر ذلك أعظم البرهان  
في الحكم والأخلاق والعمران  
جاءت ولو من أبعد البلدان

القصيدة برمتها تشمل المديح والعتاب والنصيحة والشكوى والحكمة ففي  
مستهل القصيدة مثلاً مديح للعرب، ولغتهم، وجدابة أرضهم، وقد أخذ ذلك أكثر  
من عشرة أبيات في القصيدة من قوله:

يا أمة انحدرت من العدنان عاشت على الصحراء خير مكان  
إلى قوله:

الوحي أعلن فضله هذا كفى عزا فبشرى أمة الإيمان  
بعد ذلك انتقل إلى نقطة أخرى وهو التعريض بالشتيم على أولئك الذين  
يسعون على تقسيم البلاد، من قوله:

وغدا زعيم القوم يقسم أرضها من دون ما حق من الأزمان  
إلى قوله:

والله قد أضحكتم أعداءكم فالشر كل الشر ضحك الجاني  
والغريب من الأمر أن أولئك الأشخاص مواطنون أصليون ومع ذلك لم تثمر  
اجتماعات تعقد مرة تلو أخرى للنفع العام لا في الماضي ولا في الحال . وقد سئم  
الناس من الأخبار التي تبث في القنوات و المذياع ، ووسائل الإعلام بأن الحرب جارية  
في فلسطين، وفي لبنان، وفي العراق، وفي أفغانستان، وفي سوريا، واليمن، والبحرين، وما  
هي إلا حرباً تؤدي بحياة آلاف إنسان من مواطنيها، حيناً بالقبلة، وأحياناً بوسائل

أخرى، وقد ذهب يشكو حالهم، ويتعاطف بهم من البيت التاسع عشر إلى السادس والعشرين حيث يقول:

إنا سمعنا ما يقول مديعكم الحرب في قدس وفي لبنان

إلى قوله:

يا أيها العربي قل لي صادقاً هل قد خلقت لهذه الأحزان

وقد نزع المواطنون كرهاً إلى بلاد أخرى بغية عيش لذيذ، وحياة مستمرة باستمرار حروب دامية، واختلافات مستجد. وقد تعجب الشاعر من الواقع إن كان العرب خلقوا لهذه المعانات والمقاسات .

ثم حثهم على توحيد الصفوف والتفاهم بينهم وأن لا يفسحوا ثغرة للشيطان الملعون يعيث فساداً بينهم، وما داموا موحدين فلا يتغلغل فيهم عدو، وبذلك ينالوا رضا الآخرين ثم أنهى القصيدة بحكمة صائبة وهي أن الحقيقة مأخوذة من قائلها بغض النظر عن موطنه وبعد داره.

### المبحث الثالث : مختارات من شعر السياسة

قد كتب الشاعر قصائد متعددة، يعرب بها آماله وآلامه بسياسة نيجيريا وخارجها. والحافز إلى ذلك إنما تسجيل أهم حوادث مستجدات في حقل سياسة البلاد للأجيال المتعاقبة وليس لترويج السياسة، إنما لتنفير عن الخوض في غمارها لما يترتب من ضروب خطوب ومشاكل. والشعر السياسي عنده نوعان: النوع الأول ما ذهب به الشاعر في تصوير سياسة نيجيريا بصفة خاصة، والآخر ما يمس الدول الأجنبية خصوصاً بلاد العرب.

وقد انتقينا لهذا الفصل ثلاث قصائد منها، علماً بأن للشاعر أكثر من عشرين قصيدة في هذا الميدان. أولها: أسماء ويلات السياسة. ثانيها: فلسطين تناديكم، وكلها من عيون القصائد التي تتصدر من رجل غير عربي لوناً وبيئة، فيقول:

## نص القصيدة:

إن السياسة خيرها شر  
ماذا يروعك من محاسنها  
إنى أرى الإنسان يدخلها  
وأراه يخرج من أماكنها  
ريح عقيم لا رجاء لها  
الحزب أثقل عندهم وزنا  
كم أوقدوا نار الخلاف لها  
كم عق ابن في سياسته  
إن السياسة ملؤها شر  
كم ترفع الأندال تحسبهم  
مثل الذئب وأنت تحسبهم  
قد خيخوا آمالنا فيهم  
هذى البلاد غلت مآسيها  
أبناءؤها أعداؤها أمر  
أثروا فكان الشعب أفقر من  
سلع البلاد يعز مطلبها  
إن القلوب تحجرت حتى  
زعمائنا سكتوا بلا حول  
هم فى مصالحهم عباقرة  
إن العساكر لا يعد لهم  
هل هكذا نبقى بلا أمل

الكذب والتدجيل والضر (15)  
لا تخدعك حلوها مر  
قد حف بالتوقير يغتر  
قد ناله التقريع والهجر  
ويضيق من ويلاتها الصدر  
والناس فى مفهومهم صفر  
حر وليس يناله جمر  
حمقا أباه وماله عذر  
قد طار فى الدنيا لها ذكر  
خير الرجال وملؤهم غدر  
غنم وهم خطب وهم أمر  
هم محنة قد نالها القطر  
فتضحرت أنى لها الصبر؟  
قد قض مضجع من له فكر  
فأر الكنيسة ماله نصر  
وكذا الطعام غلا له السعر  
عم العباد السقم والفقير  
كالغمر لا كتر ولا فر  
فى صونها قومي لهم خير  
صلح ولا صون ولا خير  
يبتابنا الإعياء والعسر؟

قد لخص الشاعر ويلات السياسة وعاقبتها لأصحابها فى مقدمة القصيدة  
حيث ذكر سيئاتها وسلبياتها مالو تأملها العاقل المتبصر لتجنبها خوفا من التضرر بها.

يرى الناظم سياسة نيجيريا سبباً لافتراء الكذب على الآخرين، ومجلب شر يتحاشاه العقلاء. قلما يجد فيها عاقل ما يسره ويريح باله منها وما قد يلمع فيها من أزهار وملذات فسرعان تتمحي وتنقلب إلى شوائك وبلّيات.

والخائضون في مضمارها مخطو القدر، ومعرضون إلى أنواع من التحقير والتقريع علما بأنها لقمة لا تشبع، وسراب لا ماء فيه. والحزب الذي ينتمي إليه سياسي هو الأهم لديه والأخير، من كرامة الإنسان، وحرمة بلاده. فيتعصب لحزبه بغض النظر عن أحزاب أخرى، وأهدافها النافعة، ولا يهجم آثار ذلك بينهم خلافات مستعرة أم لا. والإبن يعق أباه لأجلها سفاهة، والزوج تطلق زوجته من حرقة.

والسياسة وخبائثها معروفة في بقاع الأرض إذ كانت طبيعتها أن تعلي الأوغاد، وتخفض النبلاء، وينقلب الأعرزة أذلة، والكرماء أذلاء والسياسيون كمثّل الذئاب التي تفترس غيرها اعتداء. ومن سيمتهم خلف مواعيد، وهتك أعراض، وإثارة الفتن، وإشعال نار العنصرية القبلية والدينية. والأدهى من الأمر أن هؤلاء الأشخاص هم مواطنون خائنون، امتلكوا الثروات الهائلة عن طريق غير شرعي فأوقعوا غيرهم في فقر مدقع. وقد صور الشاعر البيت العشرين صورة مدنيين البائسة إلى المثل الإنجليزي القائل: "أفقر من فأر الكنيسة"<sup>(16)</sup>، وقد طابق هذا المثل مقتضى حال نيجيريا حيث يتعرض الناس إلى أنواع المرض من جراء سوء التغذية، وعدم تلاقي العلاج في المستشفيات لتكاليفها الباهظة.

بعد ذلك انتقل يصف لنا حال السوق والوطن بارتفاع الأسعار في الأسواق والمحلات التجارية، وتعدد الوباء وانتشاره في كل مكان، وكان رؤساء البلاد ساكتين كأنهم جاهلون بظروفهم الاقتصادية والاجتماعية القاسيتين. وإذا ما تولى أحدهم زمام الملك - مدنيين أو عسكريين - فغايته ابتزاز وفساد، قلما يلتفت إلى شكاية المظلومين، وعسر الجائعين. والحكومة العسكرية تتسم دائماً بالاستبداد في الحكم، والجور في القسم. وإذا ظلت حال نيجيريا على هذه الصورة المأسوية فهل لنيجيريا مستقبل باهر؟.

## القصيدة الثانية : فلسطين تناديكم

وقد نظم الشاعر قصائد ممتازة يتعاطف بها الشعوب التي تتكبد ضروباً من المعانات والاضطهادات في العالم على يد ولائها المستبدين . ولا أدل على ذلك من قصيدتيه اللتين أسماهما سقط هبل في العراق (17) وخارطة الطريق (18) وغيرهما من القصائد التي تستدرف لها الدموع رثاء للضحايا . وهذه القصيدة التي اخترناها من أجمل قصائد إبداعاً لمأساة فلسطين وأطولها صفة لمصيرها، وأكثرها ميسياً للنفوس وتقع في تسعة وخمسين بيتاً على روى الرءاء من بحر المتقارب.

### نص القصيدة :

فلسطين ما أصل هذا الخطر  
سألت الرجال فما زادني  
أشعب يمزق في أرضه  
يجوع دوماً لإضعافه  
يحاصر قسراً لتركيعة  
يذاق من الضر ألوانه  
فلسطين أمرك عند الرجا  
فلسطين ما سر هذا الصمو  
فلسطين ما سر هذا الثبا  
هو الحق يعلو ويقوى على  
نشاهد بالحزن هدر الدما  
مجازر (شارون) (20) هل تنتهي  
مذابحه لا تفرق بي  
إذا ما أدين على فعله  
إلى رحمة الله قتلى جنين (21)  
وموتى شتيلاً وصبراً ويافا  
يهز البلاد ويردى البشر؟ (19)  
سؤالى والله إلا الحير  
ويحيا شريداً أمام النظر؟  
ولكن تجويعه ما ظفر  
ويبقى أيباً أمام الخطر  
ويلقى من الذل كل الصور  
ل يحى الشعور ويذكى الشر  
د رغم العذاب ورغم الضرر؟  
ت حتى نفضت غبار الحذر؟  
جحافل شر بكل العصر  
ء بكل الشوارع مثل النهر  
وهل وقف آلامها منتظر؟  
ن شيخ مسن وطفل فتر  
تمادى خسيساً كفأر هدر  
ونابلس (22) متم لصد النكر  
وغزة (23) فزتم بنيل الوطر

ب فینبت منه حماة الوکر  
یفک القيود غلاظ جسر  
فذلك صنع الذى یأتمر  
ف أصارکم فوق ظن الفكر  
وتمحون يوماً کمحو الأثر  
یخيف الشياطين قذف الحجر  
بمقلاعه يوم کر وفر  
ستجعل جالوتهم یندحر  
كما أهلكوا الرسل فيما غیر  
فیصلاک شارونهم یتسعر  
ویلقون جيرانهم فی سقر  
یموت شهيدا إذا ما انتحر  
إذا کان ماء الوری یعتکر؟  
تحرك للنخطب حتى الخفر  
ت تبقى طويلا حديث السم  
فهل فاح بالموت بعض الزهر؟  
علوا على الناس أن قد مهر  
فلبوا بما یفعل المقتدر  
یشارف یا قوم حرف الحفر  
ن أن البلية صنع القدر؟  
لديهم مشيئتنا تحتقر  
ل مثل كلام النبي الأبر؟  
لديه ولا یعتنى بالأخر؟  
وأنا سنسحق مثل الحشر

دماؤکم سوف تروى الترا  
وتستنهض القوم کى یعلموا  
قوى الشر لا تدعني ظالما  
تأصرتمو کى تذلو الضعی  
ستلقون غيا لآثامکم  
رماة الحجارة لا تضعفوا  
أأتباع داؤد فى رمیه  
ثلاثة أحجار صبيانکم  
أبیدوا اليهود بإیمانکم  
لظى الإنتفاضة لا تحمدي  
یريدون تأمین أجوائهم  
مقاومکم ضد عدوانهم  
أخى كيف یصفو لهم ماؤهم  
إذا بلغ السيل کل الزبی  
فآیات معجزة الباسلا  
لقد هزت البنت صف العدى  
ففى ذاك درس لمن یدعى  
فلسطين دوما تنادیکم  
وإنى أرى شعبها بالأسى  
أنفغر أفواهنا مشدهی  
لماذا تجبر أعداؤنا  
أكثرتنا کغشاء السيو  
لماذا تفرد کل بما  
أنزعم أنا ضعاف الوری

تنبأ زغلول (24) في قوله  
فها جرس العائدين يدق  
إلى القدس سيروا هي الملتقى  
لتطهيرها من فساد اليهو  
لنذكر إسرائ خيـر الورى  
لقد بارك الله فى أرضها  
وقد سلموها لفاروقنا  
فماهى تصلح إلا لنا  
ومهما تعنت فيها الدخيل  
أحبيك يا عرفات (25) النضا  
عرفت اليهود وأحقادهم  
ستبقى لنا جبلا راسيا  
رئيس البواسل تخشى طليقا  
حصارك وحـد بين الصفو  
ندائى إلى الناس أن يدعموا  
لقد بذلوا خيـر ما يملكون  
فلسطين لا تحزنى إننا  
سيندمل الجرح يوماً وتنسى  
سلام على أشرف الأنبيـا

بعودتكم عودة المنتصر  
فينزعج السالب المستقر  
ومسجدها رغم سقم وضر  
د أهل النخنا والجناة الفجر  
ومعراج صاحب أحلى السير  
فكان إليها السرى والسفر  
فللمم ما انفك فيها عمر  
لها نستमित ولا نعتذر  
فإن التعنت لا يستمر  
ل رمز الجهاد مثال البصر  
فقم كى تبدد شمل الزمر  
يغيظ الرياح ولا ينكسر  
كما كنت تخشى زعيما أسر  
ف فهل ذاك درس لمن يعتبر؟  
جهاد الرجال بمال كثر  
فنفس الفتى خير ما يدخر  
على عهدنا وهو لا ينفطر  
المأسى ونحيا بفضل بهر  
رسول أتانا بوجه أغر

تتكرر معارك دموية بين الفلسطينيين والإسرائيليين على رغم توسط الأفراد والجماعات والدول بينهما. وقد بذل كل من عقلاء دنيا ما لديهم من جهود مادية ومعنوية فى سبيل تسوية الخلافات بينهما ولم تنجح فتحير الشاعر من جسام الأمر سائلاً العقلاء إن كانوا يعلمون مصدر الصراعات، وطرق علاجها عاجلاً أم آجلاً.

فالشعب الفلسطيني يعاني أشد الاضطهاد والاعتقال في عقر دارهم . وقد نزع بعضهم إلى بلدان أخرى فراراً من جوع وفقر وضنك عيش، حوصر بعضهم في منازلهم على أن يدعونا لحكم مستبد جائر، ولكنهم رفضوا فكالوهم بمثل كيلهم مع قلة عددهم وعُددهم .

ثم بين الشاعر تعاطف المسلمين بإخوانهم الفلسطينيين وتفأؤلاتهم بهم بأن الحق إذا جاء، يعلو كل باطل وإن تعددت الفرق المناوئة. ومن المبكيات أن يستعر القتال بينهما عقوداً من الزمن ولا تزال الدماء تسيل في شوارع المدن وقراها تعدياً على الآخر. وبالأخص منذ أن تولى شارون حكم البلاد واشتد صراع واستشهاد بينهما. فلا يميز هجومه وقتاله الشيوخ من الأطفال، والنساء من الرجال، والحلبى من المرضع، إنما يهاجم اليابس والأخضر.

بعد ذلك انتقل الناظم يدعو لشهداء فلسطين الذين ضحوا بأرواحهم لأجل بيت الله المقدس، ويشئ عليهم بما قام به أولئك الشهداء تحريراً لأرضهم، وحياة طيبة للأجيال المتعاقبة. ثم استغرب الشاعر من الدول المتقدمة التي تدعم جانباً منهما بأسلحة وثروات باهظة، وتحذل جانباً آخر عزلاً حقداً عليهم، وانتهاراً لهم، فظل الشعب المنتصر يتسلح على الشعب المنعزل كلما استئنف القتال بين الطرفين . وهناك فرق شاسع بين الشعبين المتقاتلين، شعب يحمي حماه بأحجار، وآخر يدافع بأحدث الأسلحة. وقد يمكن - إذا أراد الله - أن يغلب رماة الحجارة على قاذبي القنابل إذا استتبت الأقدام، واتحدت صفوف . وقد زعم اليهود أنهم يقطنون بسلامة واطمئنان، وجيرانهم يتلظى بجحيم النار، وشرب ماء حميم . وإذا بلغ الأمر غايته، فالساکت ينفجر، والصابر يسخط، والجبان يستبسل . ثم شجعهم الشاعر إلى سياسة الحديد بالحديد وأنها هي الأولى لهم من الإنقباض على ضرر ومسغبة الذي لا يغنى ولا يضمن من جوع. والتغلب على العدو اللدود إنما يمكن إذا اتحدت الألسن أم استن الناس استنان المشط، وبذلك يتقوى الضعيف، وتغلب فئة قليلة على فئة كثيرة بإذن الله.

وقد سبق أن تفاعل بذلك متفائلون بأن القدس سيعود إلى العرب، آخذين من اليهود ما قد سلبوه من المسلمين من المسجد الأقصى وغيره مهما يكلفهم الأمر وبالتالي يطهرون المسجد من كل دنس التصق به الصهاينة، ويومئذ يفرح الله المؤمنين بنصر من عند الله. ثم استرسل الشاعر ويصف القدس المقدس وأنه مكان بارك الله فيه ومنه انطلق النبي عليه أفضل الصلاة والسلام إلى سدرة المنتهى، ونال ما نال من بركات الله العزيز فلا يرضى المسلمون أن ينهب اليهود ممتلكاتهم وهم ساكتون واجمبون إنما يستमितون له ولا يعتذرون.

بعد ذلك يحكي لنا الناظم جهوداً بذله ياسر عرفات على استرداد القدس بكل شجاعة واستبسال، أيده الله على ذلك إذ أنه لم يخف في ذلك لومة لائم، وائتمار مؤتمر، فكافح هو وأبطال قومه يواجهون غارات صهاينة بنفس ونفيس. ثم وجه الشاعر نداءه إلى المحسنين والمتعاطفين في بقاع العالم أن يساعدوا إخوانهم الفلسطينيين بكل ما يمتلكون من مال أو غيره ليحيوا حياة طيبة، وتعود المياه إلى مجراه.

### القصيدة الثالثة: حرب الخليج

فجع الشاعر من استمرار الحرب التي يشنها بعض الدول العربية على بعضها لأسباب أقرب إلى الإقتصادية من غيرها. وما من وقية تقع بين دولتين عظيمتين من حروب إلا وتؤدي بخسائر بشرية ومادية تفوق الوصف والتصوير. وكان الشاعر يتابع بإمعان كل معركة بالشعر، ويؤدي فيها استيائه بأي نوع من الشجار الذي يؤدي إلى حمل السلاح والقنبلة على الآخر تسوية للخلافات، وبلوغاً إلى الغاية القصوى. وللشاعر قصائد عدة قرضها لهذا الغرض في مناسبات مختلفة، إنما اخترنا هذه القصيدة لروعتها وإبداعها بل لندرتها وهي تتألف من ستة عشر بيتاً، وتنتهي بروي النون.

### نص القصيدة:

سكت ولكن الضمير دعاني إلى بث ما يخفى من الأشجان (26)

لأن ضميري لا يرى الشر فاشيا  
تظنون إهلاك النفوس شجاعة  
تظنون تدمير الصروح بطولة  
بنى لكم أجدادكم لفخاركم  
ولدتم لتحيوا في السلامة والعلا  
ورثتم من الآباء أعظم إرثة  
بأئى قلوب تهرقون دمائكم  
أراضيكم كانت مهاد حضارة  
تريدون إخماد الضرام بناركم  
تريدون دملان الجروح بطعنها  
أيوقف صاروخ قتالا تتابعت  
أيوقف صاروخ قتالا مطولا  
أروني جلال الدين والخلق في الذي  
تظنون هذى الحرب أمرا مقدسا  
سلام على من عاد منكم إلى التقى

فيسكت بل يشكو بكل لسان  
ودمدمة الأركان والبلدان  
وتبديد ما رصت يد الأزمان  
ولكنكم تبنون للأحزان  
وأنجبتم للموت والخذلان  
وماذا سوى الحرمان للولدان  
وتسعون كالأسراب للنيران؟  
فصارت بهذي الحرب لحد هوان  
وما ذاك إلا غلطة الإنسان  
فتتكس الأدوية في الأبدان  
خسائره في الناس والأوطان؟  
سرى سمه في القلب والشريان  
تقدمه أيديكم ببيان  
جهادكم أعيأ نهى العرفان  
وأنقذ أجيالا من الخسران

وقد أراد الشاعر أن يسكت لهذه المأساة التي تتجدد بين الدولتين العظيمةين،  
ولكن تعاطفه الديني والإنساني منعه من السكوت والانقباض، فرجع عقيرته كاسف  
البال، ومعرضاً بالشتم لكلا الطرفين. وقد دمرت الحرب نفوس أبرياء، ونفائس ثمينة  
تركها السلف للخلف ولكن الأبناء سعوا إلى تدميرها عناداً وفساداً. بعد ذلك ذهب  
الناظم يذكر ما لهذين الدولتين من حضارة وثقافة عظيمةين ولكن اليوم أصبحنا مقابر  
لضحايا الحروب، يثيران الفتن بين أنفسهما.

وقد كانت المباني الضخمة، والقصور المزخرفة التي بنوها أجدادهم قد راحت  
مع الوقائع، فالأجدر لهما أن يوقفا الحرب إن كانتا تتعقلان. والأكثر مرارة أن

الأسلحة التي يستغل الجانبان للقتال خطير جدا، ولا يحق بحال من الأحوال أن تقوم الحرب العشواء بينهما. وفي القصيدة عتاب على سبيل التعريض، وفي البيت الرابع عشر يقول:

أروني جلال الدين والخلق في الذي تقدمه أيديكم ببيان  
ويكفي العرب عبرة من أن يتعظوا من غيرهم، ولو كان من جنس آخر، وفي بلد غير عربي والحرب طبعا لا تلد إلا وباء وخسارة للأمة جمعاء، وكلما أثرت فإنها تأخذ اليابس والأخضر طرفة عين، والله در القائل:

وما الحرب إلا ما عرفتم وذقتم	وما هو عنها بالحديث المرجم (27)
متى تبعثوها تبعثوها ذميمة	وتضر إذ ضريتموها فتضرم
فتعركم عرك الرجا بثفالها	وتلحج كشافا ثم تحمل فتشم

## نتائج البحث

من خلال دراستنا لشعره تبين أن القصائد التي قالها الشاعر في السنوات الأولى تقل منها الأخيلة، والتشبيهات، والكنيات، والجزالة التي تكاد أحيانا تخل جودتها لبساطتها وشفافتها، ولكن قوة الأسلوب وتعدد كلماته الغريبة كانتا سمتين تميزان إنتاجه القديم من الحديث. وبالخلاصة، فإن أسلوبه في القصائد كلها لم يكن على مرتبة واحدة، منه ما هو قويّ جزل جذّاب، يرفع درجة الشاعر بين الشعراء المفلّحين من العرب أنفسهم، وهذا النوع من الإنتاج يظهر خصوصا إذا كان بينه وبين الممدوح صلة لا تنكّر. وقد اكتشفنا أن صناعة الشعر ليست يسيرة، يلجأ إليه العروضيون والبلاغيون وآخرون من العلماء، وإن تجرأ هؤلاء إلى حماه، فسرعان ما تبدى مثالب، وعيوب أخرى في الإنتاج، وقد يكون في القافية أو في النظم نفسه أو في غيرهما.

فإن الشعر هبة يهبها الله لمن يشاء، يزداد قوة وانقياداً بممارسته حيناً بعد آخر. وباطلاع على دواوين الشعراء العمالقة، وبعد النظر في الأمور ودقته ببعث الثقافة العلمية . والقدرة على النطق بلغات ذات حضارة متقدمة تساعد أيضاً.

وإذا اكتملت هذه الخصائص في إنتاجات الشاعر، فإنه لا يقول إلا صدقاً، ولا يولد إلا فضة وجوهرًا. ثم لاحظنا أن الشاعر يستطيع بملكته الشعرية أن يمثل وطنه في مباراة الشعر بين شعراء العرب الأقحاح الذين يسكنون في بيئة عربية غير مختلطة كبيئته ومحيطه، ولا أدل على ذلك من نونيته التي فازت بالمركز الأول بين المتسابقين العرب في إحدى دول الخليج عام 1991م بهذه الموهبة، استطاع أن يتطرق إلى أغراض الشعر كلها، وظهر نبوغه في معظمه، وإن كان فن الوصف أقوى وأخصب من غيره . وباب الشعر دائماً وأبداً مفتوح للسالكين، لا تتقيده أمة، وليس محصوراً على قبيلة دون أخرى، وإنما هو بحر لا ساحل له، وقد يجيده من ليس بعربي أصلاً، ويتفوق فيه على العرب، وما أكثر العلماء في الإفريقية الغربية قرضوا الشعر العربي كالعرب كيفاً وكماً!!

وقد رأينا من خلال بحثنا لقصائده أنه أكثر من الاستعمال ببحور تطرقاً، وأقل من بحور تصرفاً، والبحور التي أكثر استعمالها هو بحر الخفيف، وبحر الكامل، ثم بحر البسيط، وأقل من الوافر والرملة وغيرهما استعمالاً، ولعل السبب في ذلك أن الشعراء قبله قد آثروا بحوراً على أخرى من بينها الكامل والبسيط والطويل والوافر، وتجاهلوا بقية بحور. وقد ذهب نصف الديوان بالخفيف والكامل والبسيط، وتقاسمت بحور أخرى بالنصف الأخير . وليس في ديوانه قصيدة واحدة قالها الناظم في مدح السياسيين، والسبب في ذلك أن الشاعر

في واد، والسياسيون في واد آخر، لا تجمعهم بهم أواصر، ولا تربطهم به علاقات متينة قد تثير منه نظم الشعر في تمجيدهم وتوقيرهم ولا سيما في محيطنا النيجيري.

وكل ما في مدائحه لا يتجاوز مدائح الرسول، والشيوخ والأئمة والسلاطين، وقادة الفكر، والمنظمات الخيرية بداخل نيجيريا وخارجها . والسبب في ذلك غير خاف وهو أن هؤلاء العلماء قد ساهموا في نشر الإسلام بالتأليف والتدريس والوعظ والإرشاد، وفي تسوية الخلافات المستعرة بين الناس، وساهموا أيضاً بطرق أخرى . وأما السياسيون فليس في شعره نصيب لهم، وقد يرجع السبب إلى أنهم مفسدون في الأرض، ساعون وراء الإنهيار الخلقى، مسرفون في الإنفاق، معتدون على حدود الله، ومهتكون على القانون، تقودهم الأنانية والإفتراء على الشعب عمداً، والسعى إلى بلوغ الأمانى بأى وجه تأتى لهم.

والقصائد بأسرها ليست على درجة واحدة، طولاً وقصراً، ومثلاً أطول قصيدة في الأخلاقيات أربعة وستون بيتاً، وأقصرها ثمانية أبيات . وفي الوصف ثمانية وستون بيتاً، وأقصرها تسعة أبيات . وفي السياسة أربعة وخمسون بيتاً، وأقصرها ستة عشر بيتاً . وفي الفخر سبعة عشر بيتاً، وأقصرها اثنا عشر بيتاً . وفي الغزل خمسة وأربعون بيتاً، وأقصرها سبعة أبيات . وفي المراثى ستون بيتاً، وأقصرها سبعة أبيات . وطول القصيدة وقصرها مبني على شعور الشاعر بالموضوع المأ أو أملاً، فرحاً أو ترجأ، كرهاً أو بغضاً.

ثم لاحظنا أن الشاعر استعمل بعض الحروف للقافية، ولم يستعمل بعضها تجاهلاً، ومن الحروف المستعملة منها الألف، والباء،

والتاء، والحاء، والذال، والذال، والراء، والعين، والفاء، والقاف،  
والسين، والشين، واللام، والميم، والنون، والهمزة، والياء. وهذه  
الحروف تعددت في القوائد ما عدا ثمانية حروف لم يستعملها هي  
الحاء، والزاء، والصاد، والضاد، والطاء، والظاء، والغين، والواو.

## الخاتمة

لقد تناول الشاعر أغراض الشعر الموروثة، وزاد عليها، وتعرض  
لقضايا وطنية، وقضايا الساعة، مثل: الإرهاب، والعولمة، والحروب، والمجازر  
الأفريقية العديدة، وقضايا إسلامية مثل: الحجاب، والتصوف، والمسجد  
الأقصى، وقضايا فكرية من فلسفة وحكمة، كل ذلك متواجدة بإفاضة في  
أشعاره، مما يدل على أنه شاعر وجداني، يتفاعل مع الأحداث، ويتدفق من  
نفس إنسانية سمحة (28).

وأملني إلى الله أن يكثر لهذا الوطن النفيس رجالاً من كتاب،  
وشعراء، وخطباء، ودعاة، يسعون دائماً وراء التقدم، والإخلاص،  
وحب الوطن والوحدة، وأسأله أن يوفقنا إلى ما فيه رضاه في الدارين،  
إنه سميع مجيب الدعاء. اللهم صل وسلم وارحم وبارك على سيدنا  
محمد النبي الأمي كما صليت وسلمت ورحمت وباركت على سيدنا  
إبراهيم وعلى آل سيدنا إبراهيم في العالمين، إنك حميد مجيد.

## الهوامش والمراجع

1. شيخو أحمد سعيد غلادنتي ، حركة اللغة العربية وآدابها في نيجيريا ، الطبعة الثانية ، شركة  
العيكان للطباعة والنشر ، 1993م ، ص101.
2. مؤلفات الشيخ عثمان بن فودي ، وشقيقه عبد الله وبلو كثيرة جدا ، تبلغ ثلاثمائة كتاب من  
مختلف الفنون العربية والإسلامية .

3. هو إمام وخطيب ومحاضر بجامعة إبادن ، وافته المنية في السنوات الأخيرة .
4. وزعت هذه القصيدة في استاد أداماسيا بمدينة إبادن ، عاصمة أويو - نيجيريا ، عم 1993م ، ومنها عثرت أنا كاتب هذا المقال على نسخة منها .
5. آدم عبد الله الإلوري ، توجيه الدعوة والدعاة في نيجيريا وغرب أفريقيا ، الطبعة الأولى ، القاهرة: مطبعة الأمانة ، 1979م ، ص232.
6. والقصيدة لاتزال مخطوطة ، ونسخة منها موجودة في مكتبي الخاصة .
7. وقد أقر لي في عام 2001م ، أنه ما كان يجمع أشعاره في باكورة أيامه بالشعر ، ولو كان يجمعها لكان أضخم من الرياض والسبعيات .
8. عيسى ألي أبوبكر، الرياض ، الطبعة الأولى، إلورن : مطبعة ألي ، 2005م ، ص118.
9. التبغ: هو ما يعرف بالتبغ أو الدخان وهو جنس من النباتات الأمريكية، فيه مادة سامة، مأخوذ من لفظة تاباغو وهي اسم جزيرة في خليج المكسيك، وجد فيها ونقل منها. انظر: المنجد في اللغة والأعلام، الطبعة الثامنة والعشرون، بيروت ، ص ٥٩ .
10. قفين: مذبوحة .
11. نشرت هذه القصيدة مجلة الهدى الإسلامي التي تصدر عن الهيئة العامة للأوقاف بليبيا عام ١٩٧٥م. وربما هي أول قصيدة له ينشر في المجلات الخارجية. انظر : الرياض، المرجع السابق، ص 109.
12. عيسى ألي أبوبكر، الرياض، ص 107.
13. عيسى ألي أبوبكر، الرياض، ص 193 .
14. وقد كتب السيد آدم بن عثمان بوسى الفلاني النيجيري قصيدة بحث الفلستينيين على الكفاح منها قوله:  
سيروا على نهج الكفاح فإنه مفتاح كل سعادة ومعالي  
فأمضوا على تحرير غزة لا تنو شرف المواطن في أكف رجال  
شدوا الحزام وواصلوا بكفاحكم والنصر يأتي من أشق فعال  
فك القيود وكسر أغلال العدى حتم لنسعى نحو كل كمال  
نقلت هذه الأبيات من مقالة بعنوان "التطورات الحديثة في الأدب العربي النيجيري" ولم تنشر بعد، والشاعر يسكن مدينة غومبا، ويشغل بالحمامة هناك ص 10.
15. عيسى ألي أبوبكر ، الرياض ، ص162.
16. فأر الكنيسة هي التي اتخذت الكنيسة لها مسكنا ، زاعمين بذلك أن الفأرة التي تسكن في هذا المكان، لاتجد الكفاية، وإنما تعيش على هامش الحياة، ويقال في المثل الانجليزي  
As poor as a church rat

17. هي القصيدة التي قالها الشاعر حينما أطيح بنظام صدام حسين العراقي عام ٢٠٠٣م، وهي في ديوان الشاعر الذي أسماه السباعيات سماه بهذا الإسم نظرا إلى عدد أبياته ولا يزال مخطوطا ص 36 .
18. عنوان قصيدة قرضها الناظم لخطة السلام بين الفلسطينيين والإسرائيليين المعروفة بخارطة الطريق قدمتها إدارة الرئيس الأميركي جورج بوش، وهي موجودة في سباعياته ص 39.
19. عيسى ألي أبوبكر، الرياض، ص 171.
20. إجماء إلى إيليون شارون رئيس السلطة الإسرائيلية السابقة.
21. بلدة في فلسطين.
22. مدينة في فلسطين على ضفة الأردن الغربية. قربها بئر نبينا يعقوب، وقبر سيدنا يوسف عليهما الصلاة والسلام. انظر: المنجد في اللغة والأعلام، المرجع السابق ص 567 .
23. مدينة في جنوب فلسطين على البحر الأبيض المتوسط .
24. يقصد الشاعر كتاب سيعود العرب إلى فلسطين للعلامة مصطفى زغلول سنوسي، مؤسس ومدير دار الدعوة والإرشاد. نشر هذا الكتاب في الستينات . والكاتب على قيد الحياة أمد الله عمره للدين والصحة.
25. رئيس السلطة الفلسطينية السابق، ولد في القدس عام ١٩٢٩، وتوفي عام ٢٠٠٤ م .
26. عيسى ألي أبوبكر، الرياض، 165-166.
27. أحمد حسن الزيات، تاريخ الأدب العربي ، الطبعة السادسة والعشرون ، بيروت : دار الثقافة ، 1983م ، ص 54.
28. عيسى ألي أبوبكر، السباعيات، الطبعة الأولى، القاهرة: النهار للطبع والنشر والتوزيع، 2008م، ص 19.

— — —